صورة المرأة في المتن الرجالي القديم
(نماذج منتقاة من شعر الجاهلية والإسلام)

الدكتورة: ساميـــة بوعجاجـــة
قسم الآداب واللغة العربية
كلية الآداب واللغات
جامعة محمد خيضر– بسكـــــرة

الملخص:

حظيت المرأة على مرّ العصور، باهتمام الدارسين والكتاب والشعراء، بوصفها أمّا وزوجة وأختا وبنتا وحبيبة، وكانت الكتابات تتباين في طرائق التناول ونمطية الصور التي تقدمها.

فإن كانت المرأة المحبوبة فهي تقدم في أجمل صورة؛ وقد يرسم الشاعر ملامح حبه وألوان صبابته، وفي حالات أخرى يصف شكل جسدها، ويبرز مفاتنها الحسية. وفي المقابل قد يقدم المرأة في صورة زرية، صادرا عن عاطفة الكره أو الازدراء والحنق.

والدراسة تحاول إبراز صورة المرأة(الحرة والأمة) في أدب الرجال من خلال بعض النصوص الجاهلية والإسلامية. لنقف من خلال ذلك على أهم الملامح التي وقرت في مخيلة الشعراء.

أوّلاً: صورة المرأة في القصيدة الجاهلية:

كثيراً ما عبّر الشعراء عن مشاعرهم تجاه المرأة، فوصفوها في صور متباينة؛ فإن كانت المرأة المحبوبة، القريبة من قلب الشاعر، الممتلكة لأحاسيسه ومشاعره، فهو يصوّر جمالها، وحسن سجاياها، وما يضطرم بقلبه من شوق وهيام، كما يخلع عليها كل الصفات الحسنة التي تتسم بها المرأة الشريفة العفيفة.

ففي المعلقات الجاهلية، وتحديدا في معلقة عنترة بن شداد، نلمس شوقه لمحبوبته " عبلة" التي سكن حبّها سويداء القلب، ونزلت من روحه منزلة عظيمة. لذلك فإن عنترة

يذكرها، في كل وقت وحين؛ فهو إذ يقف على الطلل تهيج أشواقه لملقاها، فيصوّر هجرانها إيّاه لتنأى بنفسها بعيداً عنه إلى مرابع جديدة، وتخلفه في أتون الشوق يعاني عذابات فراقها، يقول الشاعر:

يا دار عبلةَ بالجوَاء تكلَّمِي وعمِي صباحاً دار عبلةَ واسلمِي
دَارٌ لآنسة غَضيضٍ طرفها طوعُ العناق لذيذةِ المتبسِّـــم[1]

فهذه الدار البائدة، التي خلت من ساكنيها وصارت جامدة هامدة لا حياة فيها، ولا أنيس؛ مع ذلك فهو يعود بذاكرته إلى سني الطفولة وأيام الصبا، حين أسرته عبلة بجمالها وفتنته بصفاء روحها وحيائها" غضيض طرفها".

وإذ يقف الشاعر أمام هذه الديار، ويتذكر الأيام الخوالي، لذلك هو يلقي إليها بالتحية يودعها ما في قلبه من حبّ وحنين لتلك المحبوبة الحييَّة، صاحبة الخلال الطيبة.

وعبلة من خلال المعلقة، هي سيّدة حرّة تملك أمرها، ليست أمة أو جارية ذليلة، ولذلك نزلت بقلبه، وملكت عليه روحه، يقول عنترة:

وتظلُّ عبلةَ في الخَزوزِ تجرُّهاَ وأظلُّ في حَلق الحديد المُبْهم
ولقد نزلتِ فلا تظنِّـــي غيَــرهُ منّي بِمنزلة المُحبّ المُكرمِ[2]

فعبلة ترفل في ثياب العزّ، تلبس الحرير والخزّ، منعمة في بيتها، تأمر فتطاع. أمّا عنترة فيظلُّ أسير العبودية، لا لشيء إلاّ لأنّ أمّه زبيبة الأَمَة الحبشية، لذلك عليه أن يتجرَّع مرارة القيد وذلّ العبودية.

وهنا يمكننا أن نقابل بين صورتين للمرأة: الحرَّة السيّدة، والأمة الذليلة، فالأولى تحظى بالمكانة السامية والحظوة العالية بين أسرتها وأفراد قبيلتها، أمّا الأخرى فرتبتها وضيعة، ومنزلتها حقيرة، لا يكاد يسمع لها صوت، أو يعرف لها أثر أو شأن.

ولذلك كان من عادة العرب، أن الأمة إذا ولدت أولاداً وكان آباؤهم من الأشراف، لا يلحقونهم بآبائهم، قال شوقي ضيف:" وكان من عادة العرب في الجاهلية إذ استولدوا الإماء أن يسترقّوا أبناءهم ولا يلحقوهم بأنسابهم إلاّ إذا أظهروا نجابة وشجاعة. ومن ثمّ لم يعترف شدّاد بعنترة ابنا له إلاّ بعد ما أبداه من بسالة في حروب داحس والغبراء".[3]

وعنترة الذي عانى مـــن ويلات العبودية، واحتقـــار الأب والقبيلـــة، يجد عزّتـــه في فروسيته، وسيادته في قوته وبأسه، وهو يصول ويجول في ميادين الوغى، وهو بواسطة هذه البطولة وهذه القوة يفتكّ حريته من أيدي سجّانيه، يقول:

يا عبلُ لو أبصرتِني لَرأيتني في الحرب أُقدمِ كالهزبرِ الضَّـــيْغَمِ[4]

فهو يلفت أنظار المحبوبة إلى بطولاته، فإن كانت القبيلة قد ازدرته بسبب سواده وضعة نسبه من جهة أمّه، فإن بلاءه في حروب" داحس والغبراء" التي وقعت بين العبسيين والذبيانيين(دامت الحرب كما قيل: حوالي أربعين عاماً) لا ينكره إلاّ جاحد. ولذلك هو يشبه نفسه بالأسد الضاري الذي لا يتهيّب الطعنات، ولا يخشى الضربات.

ثم يلتفت إليها بعد ذلك، فيصف جمالها، وما تتسم به من سحر وفتنة آسرة، يقول:

إذْ تَستبيكَ بأصلتيّ ناعِـــم عذبٌ مُقبّلُهُ لذيذُ المَطعَـــمِ
وَكأنّما نظرت بِعيني شادنٍ رَشإٍ من الغِزلان ليس بتَوأَمِ
وكأنَّ فأرة تاجـــرٍ بقسيمَةٍ سبقتْ عوارضَها إليكَ من الفمِ
أو روضةً أُنفاً تَضمَّنَ نَبتُهاَ غَيثٌ قليلُ الدِّمن لَيس بِمعلَمِ[5]

فجمالها الفتّان أخذ بلبّه وتركه في حالة من الوَلَه والصَّبابة، بين مبسم عذب وأسنان بيضاء ناصعة، ونظرة قاتلة فتّاكة، وروائح تضوع منها كما يضوع المسك من دكان العطار، أو كروضة معشوشبة خضراء نضرة، تسعد من يراها وتريح قلبه.

وحبّها لم يعزب عن ناظريه، أو يبعد عن خياله، حتّى وهو يصطلي بنار المعركة، فهو يتذكّرها، ويتمنّى أن يقبّل السّيوف القاطعة لأنها ذكرته بثغرها المتبسّم، يقول:

ولقد ذكرتكِ والرّماحُ نواهلٌ منّي وبيضُ الهِند تقطرُ من دمي
فوددتُ تقبيلَ السّيوفِ لأنَّها لمَعَت كبـــارقِ ثغركِ المُتبسِّمِ[6]

فهذه الصوّر الاستعارية التشخيصيّة عبّرت عمّا يعتمل في صدره من مشاعر وما يصطرع بداخله من مكبوتات، بين قوّة في المعركة وضعف أمام المحبوبة، وثبات أمام الأعداء وحيرة من موقف المحبوبة،" فهو دائم الذكر لها في وغى الحرب، حتّى حين تعبث به سيوف أعدائه ورماحهم، إنّه من أجلها يحارب ويخاطر ويغامرُ، فلا غرو أن يذكرها في ساعات القتال الحرجة، فإذا هو يتحوّل إلى أسد ضار لا يعبس بل يبتسم، لأنها تتراءى له من خلال بريق السيوف، فيؤمن بأنّه منتصر"[7]

إن المرأة عند عنترة ترتقي وتعلو صورتها لأنها تعادل السيادة والشرف والحرية التّي حُرمها الشاعر، وافتكّها بشجاعته النادرة، وشهامته وأخلاقه النبيلة.

وفي معلقة زهير بن أبي سلمى، يقدم صورة للمرأة الجاهلية من خلال شخصية" أم أوفى" التي طالعتنا في مطلع القصيدة:

أَمِنْ أُمِّ أوفى دِمنةٌ لم تكلَّمِ بحومانةِ الدَّراج فَالمُتثلَّمِ

و" أم أوفى" عند بعض الشرّاح هي زوج زهير، وقد بيّن بالتفصيل في المقطع الثاني من المعلّقة صورتها، في وصفه للرّحلة، فهي سيّدة حرّة، مخدومة، ترفل في ثوب العزّ والسؤدد، على محياها آثار النعمة، وفي وجهها سيماء التنعّم والدّلال.

يصوّرها زهير في رحلة ارتحالها مع صاحباتها، التي هي رحلة القبيلة كلها إلى مرابع جديدة فيها ماء وكلأ، بعد أنْ جفَّ الضّرع ويبس الزّرع، فقال:

تبصّر خليلي هل ترَى من ظعائنٍ تحمَّلنَّ بالعلياءِ من فوق جُرثمِ
علــوْن بأنمَاط عتــاقٍ وَ كِلَّـــــةٍ ورَادٍ حَواشيها مُشاكهـــةِ الدَّمِ
ظَهرن من السُّوبان ثمّ جَزعْنـــهُ على كلّ قينَيٍّ قَشيِبٍ و مُفأمِ
وَورَّكن في السوبان يعلون متنه عَليهنّ دَلَّ النَّاعم المتنعّـــمِ
وفيهنّ مَلهًى لِلَّطيف و مَنظــرٌ أنيقٌ لعين النّاظِر المُتوَسّمِ(8)

ومرأى هذه المرأة يبهج النظر ويمتع القلب ويريح الفؤاد، لا لأنها أثيرة عند الشاعر وقريبة من قلبه فقط؛ بل كذلك لأنها سيدة قومها، حرّة حازت مقاما عاليا.

أمّا الأعشى، فلا يفتنه من المرأة سوى جسدها، ولا يحرّك وجدانه إلاّ ظاهرها؛ ولذلك ضرب به المثل في الخبث والتعهّر. قال ابن سلاّم:" وكان من الشعراء من يتألّه في جاهليته ويتعفّف في شعره، ومنهم من كان ينعى على نفسه، ويتعهّر، منهم امرؤ القيس والأعشى".(9)

ففي المعلقة المرأة أداة للمتعة وبلوغ اللّذة، لذلك هو يرسم جسدها ويصفها وصفاً حسّياً، فهي ضخمة ومكتنزة، تثيره مفاتنها، يقول:

ملْءُ الوشاحِ وصفرُ الدّرعِ بَهكنةٌ إذا تَأتىّ يكاد الخَصر ينخزلُ
نِعم الضَّجيعُ غداةُ الدُّجن يصرعُها للذّة المرءِ لا جافٍ ولا تفِلُ(10)

أمّا صورة المرأة في معلقة امرئ القيس، فلا تختلف كثيرا عن سابقه، إذ تحضر في قصيدته نساء كثيرات، يصوّر معهن وبرفقتهن مغامراته العاطفية المليئة بالعبث والفجور، فيقول:

ألا رُبّ يومٍ لكَ منهنَّ صالحٌ ولا سيّما يوم بدارةِ جُلجُل
ويوم عقرتُ للعذارى مطيّتي فيا عجباً من كورِها المُتحمّل
ويومَ دخلتُ الخدرَ خدْرَ عنَيزةٍ فقالت: لك الويلاتُ إنّك مُرْجلي[11]

فالمرأة عند امرئ القيس وسيلة للتمتّع، واغتنام لحظات الحبّ والعبّ من كؤوسه، والنساء كثيرات منهن:(فاطمة، عنيزة، أم الرباب...)

وقد تكون المرأة حرّة أو جارية، صَبية أو متزوجة، فالصورة التي يقدمها عنها: تدل على التحلّل الأخلاقي والعبث والانطلاق نحو الشهوات، كما في قوله:

وبيضةِ خـــدر لا يُرامُ خباؤُهـــا تمتَّعتُ من لهوٍ بها غيَر معجّلِ
تجاوزتُ أحراساً إليها ومَعشراً عَليّ حِراصاً لو يُسرّون مَقتلي
فجئتُ وقد نضَتْ لنومٍ ثيابهـــا لدى السِّتر إلاّ لبســـةَ المتفضّلِ
فقالت: يَمينُ الله مالكَ حيلـــةٌ وما إن أرى عنكَ الغوايةَ تنجلي[12]

ومن جهة أخرى فإنّنا نجد للمرأة صورة أخرى، فهناك من العرب من يحترم المرأة، ويرى عرضها من عرضه، فيدافع عنها، ويحميها ويصونها ضد هجمات المغيرين واللصوص المنحرفين، خاصّة إذ غاب زوجها، يقول حاتم الطائي:

وما تشتكيني جارةٌ غير أنّني إذا غاب عنّي بعلُها لا أزورُها
سيبلغُها خيري ويرجع بعلُها إليها ولم يقصد عليَّ ستورُها[13]

ويفتخر بأنّه يشرك جارته في طعامه، وما يذبحه من ذبائح، فيقول:

وإنّي لأخزى أن ترى لي بِطنةٌ وجارات بيتي طاويات ونُحفُ[14]

وهذا عنترة هو الآخر يظهر مروءته وحياءه أمام جارته، فيغض طرفه إذا ما خرجت من خبائها أو مرت عليه، يقول:

وأغضّ طرفي إن بدت لي جارة حتّى يُواريَ جارتي مثواها[15]

فهذه الصورة المثالية تجاه المرأة، نجد ما يقابلها من صور سلبية، تهان فيها المرأة، وتمتهن كرامتها، وتداس حرمتها، لا لشيء سوى أنّها وقعت أسيرة، وصارت سبيّة، فيفخر

الشاعر أنّه يحمي نساء قبيلته، ويذلّ نساء الأعداء، يقول قيس بن الخطيم، مفاخراً بحماية نساء قبيلته" يوم بُعاث" وسبي نساء الخزرج :

وإنَّا مَنعنا من بُعاث نساءَنا وما مَنعتْ مِ المخزياتِ نساءَها[16]

فالمنتصر في المعركة له الغلبة، وبالتالي هو الذي يتحكم في الرقاب ومصائر النساء اللواتي سبين، فيصرن بين يدي جلاديهن، يقول الأفوه الأودي– وهو يفخر–:

نقاتلُ أقواماً فنسْبي نساءَهم ولم يَر ذو عِزٍّ لنسوتِنا حِجلا[17]

فأشد ما يخدش كرامة العربي، ويصيبه بمقتل هو أن تسبى ابنته أو زوجه، أو أيّ امرأة من قبيلته؛ ومع ذلك فهو لا يملك أن يحميها، أو يدفع عنها القهر، لأسباب، ربما غيابه، أو انهزامه، أو اغتياله... " فغاية ما يريد العربي أن يفعله بعدوه أن يهينه، ولا تكون الإهانة قاسية وشديدة إلاّ بالسّبي، لأن السبي استعباد، ولأنّ أولئك الغزاة لم يعدوا الجنس وسيلة استمتاع فحسب، بل أسلوب إذلال، لاسيما أن الفعل الجنسي في السبي اغتصاب".[18]

وافتخر عروة بن الورد على عامر بن الطفيل، في سبيهم لليلى بنت شعواء الهلالية، فقال:

كمأخذِنا حسناءَ كُرهاً ودمعُها غداة اللِّوى مغصوبةً يتصبّبُ[19]

كما أنّ المرأة إذا كانت غير حسيبة، وقومها لم يكونوا من السادة الأشراف، فهي تعدّ سبّة لابنها، فيشعر بالنقص، و يزدريها، يقول عروة بن الورد عن أمّه، وهي من قبيلة " نهد":

وما بيَّ من عارٍ إخالُ علمتُــهُ سوى أنّ أخوالي إذا نُسبُوا نَهدُ

إذا ما أردتُ المجدَ قصّرَ مجدهُم فأعيا عَليَّ أن يقاربَني المجدُ[20]

فإن كان عروة ممجدًا، وسيد قبيلته عبسا، فإنّ أخواله وبالتالي أمّه هي من حطّت من شرفه، لأنّها من قبيلة ضعيفة الشأن، حقيرة النسب.

أما الخطيئة فيتبرّم من أمه، و يراها مصدر الشرور ؛ لذلك يتمنى هلاكها، يقول

تنحَّي فاجلسي منّي بعيدًا أراح اللهُ منكِ العالمينــا

أغربالاً إذا استُودعتِ سرًّا وكانوناً على المتحدِّثينــا

حياتُكِ– ما علمتُ– حياة سوءٍ وموتُكِ قد يسرُّ الصّالحينا [21]

ثانيا: صورة المرأة في القصيدة الاسلامية:

أعطى الإسلام للمرأة مكانة عظيمة، وارتقى بمنزلتها، كيف لا! وهي الأم الرؤوم والزوجة والبنت الودود، وقد أوصى القرآن الكريم بهن خيراً، وكذلك الرسول في خطبه وأحاديثه النبوية، وأكرمها الله تعالى حرّة وأمة" فدعا إلى العناية بها والعطف عليها فحرّم أن تعضل أو تمنع من الزّواج بعد وفاة زوجها، كما حرّم أنواعاً شائنة من الزّواج، كانت عند الجاهليين، منها نكاح المقت ونكاح الشغار والجمع بين الأختين".[22]

كما أن الإسلام نظم حقوق المرأة وواجباتها وجعل لها دستوراً تلتزم به ولا نحيد عنه؛ قال تعالى:" ولهنَّ مثلَ الذي عليهنَّ بالمعروفِ وللرّجالِ عليهنَّ درجةً واللهُ عزيزٌ حكيمٌ"[23]

وهذه الدّرجة بيّنها تعالى، في قوله:" الرّجالُ قوَّامونَ على النِّساءِ بما فضّل اللهُ بعضهم على بعضٍ وبما أنفقوا من أموالهِم".[24]

في العصر الأموي، تردّدت قصيدة الغزل، فكان هناك غزل حسي، وغزل عفيف، وتشبب الشاعر بالمرأة الحرّة والجارية، كما هو الحال في شعر عمر بن أبي ربيعة والأحوص ونصيب وكثير..، ومردّ ذلك إلى شيوع ألوان من الحضارة نتيجة الاحتكاك بالقوميات الأعجمية، وانشغال أبناء الحجاز خاصة" مكة والمدينة" بألوان من الترف نتيجة للثراء المادي، فهذا الأحوص يقول في مغنية اسمها" الذلفاء":

إنّما الذلفاءُ همّـــي فليدعني من يلـــومُ
أحســـنُ النّاس جميعاً حين تمشي وتقـــومُ
حبّب الذّلفاءُ عنـــدي منطقٌ منها رخيـــمُ
أصِلُ الحبلَ لترضى وهي للحبلِ صَرُومُ
حُبُّها في القلـــب داءُ مستكـــنَّ لا يَريـــم[25]

أمّا اللون الثاني من الغزل" الغزل العذري" فهو شعر شاع وعرف في بادية الحجاز، واشتهر عند قبائل بني عذرة وبني عامر، وأصحابه عرفوا بالعفة والإخلاص لحبيباتهم، وفي أشعارهم أضفوا على المرأة المحبوبة معاني النبل وصوّر الصدق والعفاف" وقد رقق الإسلام نفوسهم وصفّاها، فكان طبيعيا أن لا يكون غزلهم إباحياً صريحا بل يكون غزلاً متساميّاً، فيه نبل وفيه حرمان، وفيه طهارة وارتفاع عن الحس والمادة".[26]

فهذا مجنون ليلى(قيس بن الملوّح) يصوّر حبّه وتعلّقه بالحبيبة، فيقول:

تعلّق روحي روحَها قبل خلقنا ومن بعد أن كنّا نطافا وفي المهد.
فعاش كما عشنا فأصبح ناميا وليس وإن متنا بمنقصفِ العهدِ
ولكنّه بــاقٍ على كلّ حالــةٍ وسائرنا في ظلمة القبر واللّحد
وما وجدت وجدي بها أمّ واحدٍ ولا وجد النَّهديُّ وجدي على هندِ
ولا وجد العذري عروةَ إذ قضى كوجدي ولا من كان قبلي ولا بعدي
إنّي لمشتاقٌ إلى ريح حبيبها كما اشتاق إدريسُ إلى جنّة الخلدِ[27]

فالصورة التي نراها، هي صورة مشوق، أضناه الوجد وشفّه الوله.

أما جميل بن معمر، فقد عرف بحب بثينة، لذلك فهو يصور ذاته، وما تكابده من مرارة الهجر والاشتياق، أمّا صورة المحبوبة فيبدو أنها لا تبالي بهذا العاشق، وآية ذلك أنها تزوجت وارتحلت مع زوجها إلى مصر، يقول:

ألا ليــت أيّام الصفاء تعــود ودهراً تولى يا بثين جديــد
فنغنى كمــا كنّا نكــون وأنتــم صديق وإذا ما تبذلين زهيــد
وما أنسى ملأ شياء لا أنسى قولُها وقد قربت بُصرى أمصرُ تريد؟
إذا قلت ردّي بعض عقلي أعش به مع الناس قالت ذاك منك بعيد
فلا أنــا مردودٌ بمــا جئتُ طالباً ولا حبَّها فيما يبيدُ يَبيدُ[28]

وينحو شعراء الغزل منحى البساطة في لغتهم، فتشفُّ العبارة وتسلس الصياغة، لأنهم يتكئون على عواطف صادقة، لا تصنّع فيها ولا كذب" وعلى هذا النّحو لم يكن غزل العذريين كغزل المتحضرين الذين عاصروهم ولا كغزل أسلافهم الجاهليين، فهم يعبّرون عن نفوس محرومة قد طهّرها الإسلام من كلّ دنس، وبرّأها من كلّ غرض جسدي تافه، غزلٌ لا يرادُ به إلى تصوير المرأة وإنما يراد به إلى تصوير هذه النفس العاشقة من ألوان العناء، وما تجنيه من ثمرات مرّة حلوة".[29]

وهذه الصورة المثالية للمرأة سرعان ما تقابلها صورة أخرى للمرأة، صورة المرأة السيئة، غير الصالحة. فقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله:" إيّاكم وخضراء الدِّمن" يريد الجارية الحسناء في المنبت السوء".[30]

وفي حكمة النبي داود:" المرأة السّوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها إلاّ من رضي الله عنه[31]

وهذا أبو عمرو بن العلاء، يقول:" أعلم الناس بالنساء عبدة بن الطبيب– من الشعراء المخضرمين– حيث يقول:

فإن تسألوني بالنساء فإنّني عليمٌ بأدواءِ النساءِ طبيبُ
إذا شاب رأس المرءِ أو قلّ مالُهُ فليس له من وُدّهُن نصيبُ
يُردن ثراءَ المرءِ حيث علمنهُ وشرخُ الشَّباب عندهنَّ عجيبُ[32]

كما نجد الجارية والأمة أو القينة وهي كثيرة في المجتمع الإسلامي، بسبب كثرة الفتوح والحروب، وكن يجلبن من بلادهن الأصلية ويبعن في أسواق النخاسة، ومرتبتهن دون مرتبة السيدة الحرّة، يعملن في البيوت، والقصور" ومنهن القيان والجواري اللواتي يكثرن في حوانيت الخمارين، وكن متعة السكارى والفساق من أصحاب اللهو والمجون".[33]

ولدورهن العظيم وأثرهن الكبير على حياة الملوك والكبراء، وعامة أفراد المجتمع نلفي الجاحظ يؤلف رسالتين حول" الجواري والقيان" معالجاً نفسياتهن، واصفاً أحوالهن ومبيناً دورهن الخطير على الخاصة والعامة.

قيل:" إن سليمان بن عبد الملك ومسلمة بن عبد الملك تسابقا، فسبق سليمان مسلمة، فقال عبد الملك في ذمّ الإماء وأبنائهن:

ألم أنهكم أن تحملوا هجناءكـــم على خيلكم يوم الرهان فتدركُ
وما يستوي المرءان هذا ابن حرّة وهذا ابن أخرى ظهرها متشرك
وتضعف عضُداه ويقصر سوطه وتقصـــر رجلاه فلا يتـــحرّك
وأدركـــه خالاتـــه ففزعنـــه ألا إنّ عرق السّوء لابدَّ يُدركُ[34]

فعبد الملك يهجو الإماء وأبنائهن، وهو يشير بذلك إلى ابنه مسلمة(وكانت أمه جارية) كما أنّه حرم من الخلافة، مع أنه كان أعظم إخوته فطنة وشجاعة وبأساً، قال الأصمعي:" ولم يكن لعبد الملك إبن أسدّ رأيا، ولا أذكى عقلاً، ولا أشجع قلباً، ولا أسمح نفسا، ولا أسخى كفّاً من مسلمة".[35]

والذي نخلص إليه أنّ صورة المرأة تختلف من طور إلى آخر؛ فالإسلام أكرم المرأة وارتقى بها في عليين" الجنة تحت أقدام الأمهات"

والشعراء يختلفون في صورهم و تصوراتهم، فالعاشق ينظر يعيون قلبه، أما الحاقد، فينزل جامّ غضبه على المرأة حتى لو كانت أمه التي ولدته.

كما أن الشعراء ميزوا في قصائدهم بين نوعين من النساء الحرة السيدة، والأمة الجارية؛ واحتفظت الأولى دائما بمرتبة سامقة عالية.

والشاعر إذا أحبّ امرأة، جعلها في ابتداءات قصائده، وأفرد لها القصائد الطوال، وصوّرها في أجمل صورة وأبهاها، أمّا إن بغضها، فهو يسمها بالغدر والخيانة والضعف والحمق.

الهوامش:

(1) الأعلم الشنتري، أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ج2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 463.

(2) ياسين الأيوبي، صلاح الدين الهواري، شرح المعلقات العشر، ط1، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1415ه، 1995 م، ص 244، 246

(3) شوقي ضيف، تاريخ الادب العربي- العصر الجاهلي- ط8، دار المعارف، القاهرة، ص 369.

(4) ياسين الأيوبي، صلاح الدين الهواري، السابق، ص 246.

(5) الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، ضبط وتقديم: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، 1430 ه، 2009، ص 155، 156، 157.

(6) ياسين الأيوبي، صلاح الدين الهواري، السابق، ص 271.

(7) شوقي ضيف، السابق، ص 374

(8) ياسين الأيوبي، صلاح الدين الهواري، السابق، ص 140، 141، 142، 145، الشرح: الظعائن: النساء المرتحلات في الهوادج، الأنماط: جمع نمط، وهو ضرب من

النسيج يفرش على الهودج، العتاق: الكرام، السوبان: واد، قيني: هو قتب طويل يكون تحت الهودج، قشيب: جديد، مفأم: واسع، ورّكن: ملن، المتوسّم: الناظر.

(9) ابن سلاّم الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحق: محمود محمد شاكر أبو فهر، ج1، دار المدني، جدّة، ص 41- 42.

(10) ياسين الأيوبي، السابق، ص: 385، 386. الشرح: ملء الوشاح: مكتنزة البطن، الدرع: قميص المرأة، البهكنة: الكبيرة الخلق، الدّجن: اليوم المطير.

(11) أحمد أمين الشنقيطي، المعلقات العشر وأخبار شعرائها، ط1، مكتبة المعارف، بيروت، المكتبة الأدبية(حلب) سوريا، 1426 ه، 2005 م، ص 60-61.

(12) نفسه، ص 62- 63.

(13) محمد بدر معبدي، أدب النساء في الجاهلية والإسلام، المطبعة النموذجية، الحلمية الجديدة، ص 6.

(14) نفسه، ص 5

(15) نفسه، ص 6.

(16) عمر بن عبد العزيز السيف، الرجل في شعر المرأة، ط1، الانتشار العربي، بيروت، 2008، ص 22.

(17) نفسه، ص 22.

(18) نفسه، ص 23.

(19) عروة بن الورد، الديوان، تحق: أسماء أبو بكر محمد، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418 ه، 1998 م، ص 47.

(20) نفسه، ص 56.

(21) أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وغرائب أخبار وأسرار، تحق: محمد إبراهيم سليم، مكتبة القرآن، بولاق، القاهرة، ص 164.

(22) يحي الجبوري، الشعر الجاهلي- خصائصه وفنونه- ط5، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1407 هـ، 1986م، ص 74، 75.

(23) سورة البقرة، الآية 284.

(24) سورة النساء، الآية 24.

(25) شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ط8، دار المعارف، القاهرة، ص 103.

(26) نفسه، ص 106.

(27) ديوان مجنون ليلى، شرح: يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت، 1431 ه، 2010 م، ص 70، 71.

(28) أبو علي إسماعيل القالي، كتاب الأمالي، تحق: صلاح بن فتحي هلل، سيّد بن عبّاس الجليمي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1422 ه، 2001 م، ص 259.

(29) شوقي ضيف، الحبّ العذري عن العرب، ط1، الدار المصرية اللبنانية، 1999م، ص 25.

(30) أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وغرائب أخبار وأسرار، ص 162.

(31) نفسه، ص نفسها.

(32) نفسه ص 160.

(33) يحي الجبوري، مرجع سابق، ص 74.

(34) بن عبد ربّه الأندلسي، طبائع النساء، ص 100.

(35) نفسه، ص 101.